تحدث من مرضهم فتبلغ ٥٦٦ الف جنيه بين ثمن ادوية واجور اطباء وتعطيل اعمال ونفقات دفن ونحو ذلك وعلى هذا فقد صدقوا في قولهم ان البرد اصل كل علة

اما في بلادنا فتأثير البرد لا يذكر وكذلك الحر فانه مقبول لا يضر وعلى كل حال فنحن في نعمة من اعتدال جونا وحسن اقليمنا وحبذا لو كنا كذلك في سائر الشؤون

مُلَح

سأل رجل آخر اتظن انه صحيح ما يقال ان الذهب يشفي من بعض الامراض فاجابه على الفور بل اؤكد ذلك تأكيداً لانه يشفي من الفقر

* * *

قال رجل لامرأته اذن انت لا تعتقدين بشيء فاجابته بل اعتقد ولكن بكل شيء افهمه فاجابها اذن لقد صدقت في كلامي

* * *

سأل معلم تلميذه ماذا ترى في آخر هذه العبارة فاجابه على الفور آخر كلمة

* * *

قالت امرأة لاخرى اليس عجيباً لفلانة ان تتزوج بذاك الرجل الحزم لاجل ماله فاجابتها على الفور اذن تتزوجه لاجل ماذا

أنيس الجليس

الجزء التاسع — السنة السابعة

{الاسكندرية في ٣٠ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٤}

{الموافق ٢٠ رجب سنة ١٣٢٢}

عيوب المتأدبين

كثر بيننا المتأدبون في هذا العهد بين كتاب وشعراء وهم ينحون من الانشاء كل منحى ويذهبون في الشعر كل مذهب ولذلك اصبحت صناعة الانشاء بهم صناعة حقيقية تامة بعد ان كانت صناعة اسمية لا يتولاها الا افراد معدودون

الا ان ارباب هذه الصناعة على كثرتهم وشدة تعلقهم بالآداب واتخاذهم اياها صناعة ارتزاق بعد ان كانت صناعة مجانية لا يخلون من بعض التقصير الذي اشرنا اليه فيما مضى من جهة الانشاء نفسه ولكنه ربما يكون تقصيراً مقبولاً لدى تقصيرهم وخطإهم من جهة الاعتقاد فيما يكتبون

فلقد نرى الكاتب منهم يريد ان يجعل الانشاء العربي تاماً من جهة

الاتيان بما اغفله العرب المتقدمون فيعمد مثلاً الى تعريب الروايات والفكاهات ولكنه لا يكاد يتعلق بهذا الفن ويذوق بعض ما فيه من حلاوة حتى تراه قد زعم انه كل العلم وكل الفكاهة ثم يأخذ في لوم العرب لانهم اغفلوه ويعتد كل ما جاؤا به لغواً باطلاً لا فائدة منه ولا خير فيه . ثم لا يكتفي بهذه الدعوى الباطلة بل يتمادى به اعتقاده بان فنه خير فن وان الاشتغال به افضل من الاشتغال بالصحافة مثلاً دون ان يدري ان الآداب فنون شتى لازم بعضها لبعض كل اللزوم وبذلك يكون قد احسن من جهة انه اراد سد ثلمة ولكنه اساء كثيراً في نشر اعتقاده واساء الى نفسه بان قيد عقله ضمن دائرة ضيقة يحسب الخروج منها خروجاً من العلم

ثم نجد الصحافي مثلاً يكتب المقالات ويحبر الفصول ويؤرخ الحوادث ويعظ الناس ويرشدهم فيتوهم ان عمله هذا هو كل الفضل وان ما عداه لا يعد فضلاً ثم يأخذ في لوم الكاتب المسجع والشاعر المتأنق مدعياً ان ما يشتغلان به باطل لا خير فيه وانهما ينفقان من مداركهما فيما لو انفق في مثل صناعته لكان اتم وافضل . ثم هو لا يكتفي بذلك من التباهي على مجاوريه ومعاصريه بل يأخذ في ذم امرئ القيس وابي الطيب والهمذاني وابن العميد والوليد وسائر ملوك النظم والنثر زاعماً انهم قد صرفوا اوقاتهم في الباطل وانهم ما افادوا الناس بشيء معتقداً ان النفع يجب ان يكون مادياً محضاً ذاهلاً عن نفع الحلاوة والزخرفة والتأنق وما يجده القارئ من لذة الكلام الجيد والتفكه به وهذا ولا شك من العيوب التي تذهب بالمسرة من انتشار الانشاء وتدل على ان الكتابة وان كانت قد نمت حقيقة فان عقول اصحابها لم تسر معهم على درجة ذاك النمو

ثم ترى الشاعر ينظم في المستحدثات العصرية وما استجد من عادات واحوال فيزعم ان كل الحسن فيما ينظم معتقداً ان الشعراء الماضين كانوا مقصرين جداً وانهم انفقوا مواهبهم السامية في وصف الناقة وذكر الطلل وكف الممدوح مما لا يأتي بفائدة وليست فيه حلاوة ولا رونق . ولقد افرط بعض الناظمين العصريين في هذا الاعتقاد حتى صاروا يفضلون ادنى شاعر بيننا على اعظم شاعر قديم بدعوى انه لم يذكر الناقة ولا الطلل ولا تعمد المجاز حتى لقد يسمونه بالشاعر العصري العظيم وهو ليس من الشعر في شيء ولا الشعر منه في شيء بل غاية ما هو انه لا وزن ثرثار لانه نظم في كل شيء وهذر في كل حالة ولكنه ما احسن في شيء ولا اجاد في حالة بل هو قد اضر غير مباشرة اذ وفق الى من يمجده ويعظم طريقته وينصر الباطل على الحق

ثم ترى المنشئ يعمد الى الفصول المعاشية او البلدية او العائلية جرياً على طريقة الافرنج فيزعم انها الحسن بتمامه والجمال بجملته والنفع بكليته دون ان يهمه اصاب كلامه او اخطأ واستقام انشاؤه او اعوج . ثم هو لا يكتفي بتقصيره والرضى بعيبه (ان كان يدري انه عائب) بل يتناول مثل الهمذاني والخوارزمي والحريري واليازجي فيزعم انهم افنوا اعمارهم في الباطل وانفقوا ذكاءهم بين الاسجاع واختيار الالفاظ وانهم لو جروا في ميدانه او لو تنبهوا الى طريقته لافادوا اوطانهم ونفعوا نفوسهم بل هو قد يتمادى في اعتقاده فيتوهم انه اكتب منهم وان اقواله جاءت بانفع من اقوالهم اذ يكون قد كتب مقالة عن الشوارع مثلاً فيفتح بسببها شارع او نشر كلاماً عن فضل

الزواج فتزوجت بسببها معضلة واما هم فما فعلوا من ذلك شيئاً ولا انتفع انسان من اقوالهم بدرهم

هذه هي دعاوى الكثيرين من المتأدبين عندنا والمرجوّ منهم ان يكونوا عمدة الانشاء والساعين اليه سعيه وهم انما يعذرون على ذلك بسبب من يتشيعون للاخذ بناصرهم ممن هم دونهم ادراكا وبسبب قلة النقد عندنا وصعوبة قول الحقيقة على النقادين العارفين

على انه ما يوقعهم في هذه المزاعم الباطلة الا قلة ادراكهم للفرق بين الفنون الجدية والكمالية او اعتبارهم الضرورة مقدمة على الكمال دون تدبر ولا تمييز فترى الواحد منهم يعتقد ان فن الحساب مثلاً خير من فن الشعر لان الشعر قرين الافلاس ولا حاجة للدنيا به واما الحساب فلا يستغني عنه احد ويرون علم الحقوق مفضلاً على علم الفلك ونحو ذلك مما ينظر فيه الى جهة النفع المحض دون جهة الفضل ومقدار ما ينبغي من صحة العقل لتحصيل الفنين فاننا لو نظرنا الى الحساب مثلاً لوجدناه في الحقيقة علما نافعاً لا تستغني عنه الدنيا وان فيه كل النفع لكل انسان من حيث هو رياضة عقل وسبب رزق ولكننا لو نظرنا الى ما يجب من سمو العقل لنيل اعلى درجة في الحساب لوجدناه ادنى بكثير مما يجب لنيل اعلى درجة في الشعر الذي لا يفيد صاحبه ولا ينيل احداً رزقا كذلك

ولهذا فاننا لو جئنا بمليون تلميذ نعلمهم الحساب والشعر الى آخر حدودهما لوجدنا تسعة اعشار الحاسبين قد نالوا هذه الدرجة ولما وجدنا من الشعراء الا واحداً او اثنين بل قد لا نجد احداً لانه قد مرّ بعد المتنبي وامثاله ملايين من الذين حاولوا الشعر واجتهدوا ولكن ما جاء واحد منهم كالمتقدمين ولهذا صار

يجب اعتبار مقدار ما بذل من الادراك لتسجيل الفضل دون اعتبار ما جاء من النفع المادي

وعلى الجملة فان الدنيا بيت حجارته كل هذه العلوم وكلها واجبة كوجوب كل اعضاء الجسم ولكن المدنية البشرية التي اوصلت الانسان الى هذه الدرجة السامية قد قضت بان يكون الكمالي احياناً كثيرة مفضلاً على الجوهري الضروري فيعد الكاتب المجيد بمثابة الف بناء ماهر ولذلك تراه يأخذ مقدار اجورهم كلهم حيث يعرف قدره ويشعر بالفائدة والفكاهة من صناعته ويعد الفلكي الذي لا يفيدنا بشيء افضل من عشرين حقوقياً لان هؤلاء يطلبون شيئاً ذا حدود يمكن الجميع الوصول اليها واما ذاك فيطلب غاية بعيدة تتطلب من صحة الادراك وبعد النظر ودقة الحساب شيئاً كثيراً تكثر به درجات التفاوت وقس على ذلك سائر ما تشاء تبد لك صحة هذا القول ولكنك تجد هذه الصحة اوضح وانصع في اوربا واميركا حيث يبلغك من طريق البرق ان فلاناً الكاتب مريض وان القلق عليه عظيم وان فلاناً المصور او النحات قد مات فحزنت عليه الحكومة ولبست شارات الحداد ولا يبلغك عن فلان الحاسب بشيء ولا الحقوقي خبر الا اذا كان عن طريق البريد دون البرق ولعل هذا القول يكون خير مقياس تعرف به مقدار الدرجات في الفضل الحقيقي